الباب الثالث

الخلافة عند سيد قطب في تفسير ظلال القرآن

الفصل الأول: تفسيره عن الخلافة

أ. صياغ الخلافة في القرآن

إن القرآن يربي المؤمنين ويغرس في نفوسهم على الإيمان والولاء للخلافة المؤمنة.[١٨٧] فاستعمل القرآن على ستة صياغ لبيان على الخلافة، وهي الخلافة والإمامة، والإمارة، والولاية، والسلطان، والملك.

١. الخلافة

قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيْفَةً)) البقرة:٣٠، وباللفظ الجمع ((وَهُوَ الَّذِيْ جعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ)) الأنعام:١٦٥. بمعنى الاستخلاف من قبله كما استخلاف بني إسرائيل في الأرض ثم عزلهم هذه الخلافة وتسليمها للأمة المسلمة الوافية بعهد الله.[١٨٨] فتتابع الأجيال وتزاول الناس تجعل من الجيل خليفة لجيل.[١٨٩] وكما خلف أبو بكر خلافة النبي ص لى الله عليه وسلم في المدينة واستمر باستخلاف عمر الفاروق عن خلافة أبي بكر بعد وفاته ثم عثمان وعلي، و سميت الأمة هذه الخلافة بِ ((الخلافة الراشدة))[١٩٠].

[١٨٧] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص. ٧٢٤
[١٨٨] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص. ٥٦
[١٨٩] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص. ٢٠٤٧
[١٩٠] أبو الأعلى المودودي، **الخلافة والملك**، ص.٤٩

٢. الإمامة

قوله تعالى: ((وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِين)) البقرة:١٢٤، وباللفظ الجمع ((وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)) السجدة: ٢٤

استعمل هذه اللفظ للدلالة على القدوة في القيادة، لأن الإمام سيقود الأمة إلى الله وإلى الخير ويكون له تبعا عند أمته، وأكّد سيد في تفسيره على عدم إمامة الظالم في كل معاني الإمامة وخاصة إمامة الخلافة.[١٩١] فقرر في بعض الآيات عن صفة الإمام الحق، كالصبر واليقين.[١٩٢]

((وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِى دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)) التوبة: ١٢.

كذلك تأتي الأمر على الإيمان والوفاء بالعهد بعد كلمة الأئمة، وهو دلالة على قدوة في القيادة المسلم، لأن أئمة الكفر لا أيمان لهم.[١٩٣] فالله جعل أمام أئمة قادتها[١٩٤] يسوقها إلى الإمامة الصالحة وإقامة النظام والإقرار بالتوحيد

---

[١٩١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص. ١١٢٠
[١٩٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٥، ص. ٢٨١٤
[١٩٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٣، ص. ١٦٠٦
[١٩٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص. ٨٦٨

٣. الإمارة

قوله تعالى: ((وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا)) النساء: ٨٣

وجه الأصفهاني في معنى أولي الأمر إلى أربع، وهم الأنبياء والولاة والحكماء والموعظة.[١٩٥] جعل الله في هذا النص على إطاعة الله والرسول وإفراد الله تعالى بالحاكمية والتشريع للناس. وقد جعل طاعة الله أصلا وطاعة الرسول أصلا كذلك، ويجعل طاعة أولي الأمر تبعا لطاعة الله وطاعة الرسول بعد أن قرر أنهم ((منكم)) بقيد الإيمان والشرط. فلا يكرر لفظ الطاعة عند ذكرهم لأن طاعتهم مستمدة من طاعة الله وطاعة رسوله. ومن النقطة المهمة في هذه الإطاعة فهي الطاعة في المعروف فلا سمع ولا طاعة في أمر بمعصية،[١٩٦]

والإيمان شرط مهم في الإمارة. فهي من قاعدة التنظيم القيادة للجماعة.[١٩٧] لأن الإمارة المؤمنة هي التي تملك استنباط الحقيقية من الإمارة وهم القادرون على استخراج الحقيقة من الملابسات المتراكمة والأنباء المتناقضة.[١٩٨]

---

[١٩٥] الرافب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص.٩٠

[١٩٦] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ، ج.٢، ص. ٦٩١

[١٩٧] سيد قطب، **في ظلال القرآن**،ج.٢، ص. ٧٠٤

[١٩٨] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص. ٧٢٤

٤. الولاية

قوله تعالى: ((اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ))، الأعراف: ٣

عرف الراغب الأصفهاني في معنى الولاية وهو تولى الأمر، ويقال في معناه الفاعل المولى والولي. فالله ولي المؤمنين.[١٩٩] وقد استعمل سيد هذا المعنى للدلالة على الولاية. فالطاغيات أولياء الذين كفروا، أما للمؤمنين فالله وحده ولي الذين آمنوا.[٢٠٠] استعمل الله تعالى بهذا اللفظ في كثير من آياته للتحذير عن ولاية غير المؤمنين وإثبات على ولاية المؤمنين في الأرض. لأن ولاية غير المؤمنين لا يحتكمون لكتاب الله ولا يتبعون منهجه في الحياة.

((لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)) آل عمران: ٢٨. أما المقصود من الأولياء الكافر في هذه الآية فهم اليهود ولكن من اللازم أن يشمل المشركين أيضا. لأن بعض المؤمنين لا يزالون يوالون أقاربهم من المشركين كما يوالون اليهود. فالتحذير ثابت لليهود في التاريخ ولغير المؤمنين اليوم.[٢٠١]

٥. السلطة

قوله تعالى: ((إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

[١٩٩] الراغب الاصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص.٨٨٥
[٢٠٠] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ،ج.١، ص. ٢٩٢
[٢٠١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص. ٣٦٣

لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)) النساء: ٩٠، ((وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) إبراهيم: ٢٢.

السلطة أي التمكن في القهر،[٢٠٢] يقال سلطان المسلمين على الأرض،[٢٠٣] فهو ذوي القوى القادر على تحقيق النصرة.[٢٠٤] وليس للضالين على المسلمين سلطانا في الأرض لأنهم يريد على ابتعاد الناس من منهج الله وشريعته ونظامه.[٢٠٥]

لابن عاشور المعنى الأوسع في معنى السلطان هو الإمام الذي يأخذ الحقوق من المعتدين إلى المعتدى عليهم حين تنتظم جامعة المسلمين بعد الهجرة.[٢٠٦]

أن الأمر والنهي لا يقوم بهما إلا ذو سلطان. وعرف سيد بأن وهذه احدى من تصور الإسلام للمسألة. فالسلطة تقوم على الدعوة إلى الخير والنهي عن السعي لتحقيق منهج الله في حياة البشر.[٢٠٧] لأن المصدر الأول والأخير للسلطة فهو أمر الله وإذنه. فاستعمل القرآن على

---

[٢٠٢] الراغب الاصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص.٤٢٠

[٢٠٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢١٢٢

[٢٠٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢١٢٢

[٢٠٥] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢١٤٢

[٢٠٦] محمد الطاهر بي محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحريح والتنوير**، (بونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤)، ص.٩٥

[٢٠٧] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٤٤٤

صيغة السلطان للدلالة على ذو القوة والقدرة والقهر.

أما قوة السلطان من غير الإسلام فهي كراهية الحياة الزوجية التي تكفله العنت ومعاناة جحيم هذا الحياة.[٢٠٨]

٦. الملوك

قوله تعالى: ((وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) البقرة: ٢٤٧.

عرف سيد في معنى المالك في اللغة على السيد المتصرف للإصلاح والتربية[٢٠٩] الذي يستخلف منصبه من المالك الواحد الأصلي —وهو الله– ووجب عليه أن يخضعوا في خلافتهم لشروط الله في الملكية من التشريع الإسلامي وإلا بطلت ملكيتهم في خلافة الأرض.[٢١٠] ذكر في كثير من الآيات القرآنية أن المالك الحقيقي في السماوات والأرض هو الله وحده وقد تركه هذا المنصب للناس في هذه الأرض بإعطاء الأرزاق والأقوات والقوى والطاقات إليهم ما داموا في عهد وشرط الله.[٢١١] ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) آل عمران:٢٦.

---

[٢٠٨] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٥٨١

[٢٠٩] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٢٢

[٢١٠] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٢٨٧

[٢١١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٣١٨

ومن الغاية العليا من استخلاف الناس ملك الله في الأرض وهي الصلاح في الأرض والتمكين للخير فيها.[٢١٢] ((فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)) البقرة: ٢٥١.

ب. الأمر بالخلافة في الأرض

بدأ أمر بالخلافة بخلق آدم عليه السلام، فإنه أول خليفة الذي دبر الأرض وعمّرها. فلهذا قرر الله تعالى في قصة آدم أنه خلق آدم ومن استخلفه ليكون خليفة في الأرض وإعطاءه المعرفة ليعالج بها خلافته.

((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)) البقرة: ٣٠ من مشيئة الله العليا أنه خلق البشر ليكون زمام لهذا الكائن الجديد أي الأرض، تكل فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل وكشف ما في هذه الأرض من القوى والطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله —بإذن الله– في المهمة الضحمة التي وكل الله إليه. فالخلافة هي من منزلة عظيمة للإنسان لأن فيها وحدة أو التناسق بين النواميس التي تحكم الأرض وتحكم هذا المخلوق وقواه وطاقاته، كي لا يقع التصادم بين النواميس ولا تحطيم طاقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة.[٢١٣]

---

[٢١٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٢٧٠

[٢١٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن، ج.١**، ص. ٥٦

إن تتابع الأجيال في الأرض وانتهاء دولة وقيام دولة بالتوالي الدثور والظهور يوقظ الناس كي يجعل الخليفة جيلا بعد جيل وتورث الملك بعد ملك وتديل الدول. لأن شأنه في الخلافة لا يخلد ولا يبقى. فأن يعقب من بعده ماذا ترك وماذا عمل كي اتبع بما قال وبما فعل. فلازم على كل الخليفة أن يترك حسن ثواءه وذكر الجميل عنه ويقدم بين يديه ما ينفع.[٢١٤] ((هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِى الْأَرْضِ ۚ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا)) فاطر:٣٩.

لكن لم تتم الأرض اليوم بخلافة الناس حيث كان بعضهم يفسدون وبعضهم يقتلون على بعض آخر ويختلفون في كل رأي وحكم ولم يخرجون طاقتهم على إصلاح الأرض حتى ينسون الناس عن ذكر الله والتسبيح والتحميد له!

كما رأت الباحثة كثيرا من ممالك الدنيا ورئيس الدولة وقائد البلاد الذين يفسدون مملكتهم ودولتهم وبلادهم ويبعدون الناس عن التقرب بالله تعالى ولا يهتمون سعادة أمتهم ويقيمون النوامس والحكم والقوانين الذي يفيدونهم ما لا يفيدون أمتهم حتى يجعلون مذهبا جديدا لاتمام على غرضهم، وأحدها مذهب العلمانية الدينية الموجودة في كثير من الدولة الغربية والشرقية.

كُتب في كتاب ((العلمانية)) على أن الغرض العلمانية في أوروبا وهي التحريف في العقيدة والشريعة ليكون مجتمعا لا دينيا،[٢١٥] وهي التي تلغي تركيا عن الخلافة الإسلامية وتقطع كل صلة مع الإسلام و جعل الدولة الدينية

[٢١٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٥، ص.٢٩٤٧

[٢١٥] سفر عبد الرحمن الحوالي، **العلمانية**، ص.٦٥٠

جمهورية عادية وطرد الخليفة.[٢١٦]

فهم من العلمانيين الذين يبعدون الدولة عن الدين، والدولة عن أحكام الله، والأمة عن ذكر ربهم. وبمثل هذا العلمانيين الذين رأوا الملائكة عن صورة الناس الذين يستخلفون في الأرض. لقد شاهد الملائكة بهذا الحال وقالوا ((أَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)) البقرة:٣٠.

قال سيد قطب عن فطرة الملائكة فهي شواهد الحال وإلهام البصيرة حتى يكشف لهم كل شيئ حتى يعرفون بأن الإنسان ليس كمثلهم في الخير المطلق والسلام الشامل، فالناس بهذه الصفة سيفسد الأرض ويسفك الدماء ما لا يعملوه الملائكة. ويأتي الجواب من الله تعالى لهذا السؤال على أن في تسليم الخلافة على الناس حكمة بالغة والسرّ العظيم كي يكون وراء هذا الشر الجزئي –الذي ذكروه الملائكة– خير وأكبر وأشمل[٢١٧] ((قَالَ إِنِّيْ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ)) البقرة:٣٠.

وبجانب هذا السر العظيم أودع الله للناس العقل ليكون به قدرته العظيم في خلافته على الأرض ودليل على هذا القول فهي في قصة آدم الذي أجاب هو كل ألفاظ منطوقة من الأسماء للمسميات كتسمية الأشخاص والأشياء المحسوسة التي أمر الله إليه حتى يتفاهم على أشياء كثيرة التي يستحضر أمامهم[٢١٨]، حيث قال الله تعالى: ((وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِؤُوْنِيْ بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِيْنَ. قَالُوْا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ

[٢١٦] سفر عبد الرحمن الحوالي، **العلمانية**، ص.٥٧٠
[٢١٧] سفر عبد الرحمن الحوالي، **العلمانية**، ص.٥٦
[٢١٨] سفر عبد الرحمن الحوالي، **العلمانية**، ص. ٥٧

لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ)) البقرة:[٣١].

فالناس مستخلفون في الأرض بعقلهم وفطرتهم الذي يساعدهم على تدبير الأرض وترقيها، وزاد الله إليهم الطاقات والاستعداد التي تمكنهم على الخلافة في الأرض. فالأمر بالخلافة غير مستحيل للناس، وفي تدبير الأرض كلها غير مستحيل للبشر. فالله قد ساعدهم بوفق النواميس في الأرض التي تسمح بوجود الناس في هذه الأرض. وهذه النواميس التي تجعل الأرض للناس قرارا والجبال رواسي وتنظم الكون كلها متناسقا بعضه مع بعض حتى تهيأ في الأرض كل الظروف المساعدة للحياة.[٢١٩] فليست الكون عدوا للناس، لكنها تكون مساعدا ومتعاونا للناس لإقامة خلافته في الأرض.[٢٢٠]

ليس الأمر بالخلافة مقصور على آدم عليه السلام وحده بل هو مستخلف إلى كل ذريته من بني آدم، جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن. ولا تضاقت الأرض بتوالي الخلفاء، وتجدد الأفكار والتجارب والمحاولات وأنماط الحياة ولا أبطأ سير الحياة والحضارة والتفكير ولا تجد التصادم والاعتراض في العالم إلا في عالم الفكر والشعور.[٢٢١] ((وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ)) النمل:٦٢.

لكن ليس كل الناس مكلف بالخلافة إلا المؤمنين الصادقين في إيمانهم. لأن الكافر والمشرك والمسلم الذي لا يتأدب بأدب المؤمنين لا يستعمل عقله وفطرته في طاعة الله ورسوله ولا يتبع حكمه فلا تتدبر الأرض بخلافته ولا تطمئن الأرض به.

---

[٢١٩] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٥، ص.٢٦٥٨.
[٢٢٠] سيد قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص.٢٣.
[٢٢١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٥، ص.٢٦٥٩.

في خلق الأرض، الحق بالخلافة والحق بالحكم بين الخلق والحق في قيام الناس بمشاعرهم وأعمالم. فلايكون الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ولا يكون وزن المتقي كوزن الفجار. لأن الله أنزل القرآن إليهم ليتدبروا بكل آياته وليتذكر أصحاب العقول من الحقائق الاصلية التي لا يتصورها الكافرون، لأن فطرتهم لا تتصل بالحق الأصيل في بناء الكون وتسوء ظنهم بربهم.[٢٢٢]

((وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)) ص:٢٧.

((فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ)) يونس:٧٣.

وحقيقة الاستخلاف في الأرض ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم، وإنما هي قدرة على العمارة والإصلاح وتحقيق العدل والطمأنينة والارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري ولا على الهدم والإفساد ولا على الظلم والقهر ولا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان.[٢٢٣]

ج. خلافة الأنبياء

قصى القرآن قصص حياة الأنبياء والرسل –صلوات عليهم– ليكون أمثلة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم عامة. ومنها في مسألة الخلافة.

١. خلافة داود عليه السلام

((فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ)) ص:٢٥.

[٢٢٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٥، ص.٣٠١٩
[٢٢٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢٥٢٩

فداود أحد السلطان من الأنبياء، فقد كان ذا قوة، يرجع كل شيئ إلى ربه بالطاعة والعبادة والذكر والاستغفار، ليس فقط على قوة النفسية بل على غاية كمال القوة في الحكم والسلطان في عالم الإنسان.[٢٢٤]

حكم داود أمته بالحق والعدل وخصص بعض وقته للتصرف في شؤون الملك وللقضاء بين الناس ولا ينسى بعبادة الله تعالى حتى خصص بعض وقته الآخر للخلوة والعبادة لله في المحراب.[٢٢٥]

((فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ)) ص:٢٥.

أخذت الباحثة في قصة داود على كيفية الخليفة في الخلافة وفي تحكيم المسألة بين الأمة وهي حين امتحن الله داود كي يقضي بينهم بالعدل ويبين الحق قبل إصدار الحكم ولا يتعجل في التحكيم ولا يأخذ مظاهر قول واحد قبل أن يمنح الآخر فرصة لإظهار بقوله وحجته حتى ينكشف الظاهر من الخدع والكذب. ولا يتبع نفسه بالهوى لأنه يحمل الناس على الضلال في سبيل الله وعلى نسيان الله.[٢٢٦]

٢. خلافة سليمان عليه السلام

إن سليمان من الحاكم والمالك[٢٢٧] الذي تلوح على عدله و تعميره في خلافته.[٢٢٨] وتحكى هذه الصفة في سورة الأنبيا الأية ٧٣، حيث قال الله تعالى ((وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ

---

[٢٢٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٥، ص.٣٠١٧

[٢٢٥] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٥، ص.٣٠١٨

[٢٢٦] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٥، ص.٣٠١٨

[٢٢٧] سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، م.١٦، (القاهرة: دار الشوق، ١٩٦٧)، ص. ١٧٩

[٢٢٨] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢٣٨٩

الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ)) الأنبياء:٧٨. وفي ملك سليمان وصل بني إسرائيل دولة في الأرض في عهدهم الذهبي في تاريخهم الطويل[٢٢٩] الذي لم يبلغونه من قبل في عهد النبوة الكبرى.[٢٣٠]

كان في صفاته مثالا لما ينبغي أن بعمله كل القادة اليوم. فقد عرف سيد من قصة سليمان على قمة مهمة للقادة اليوم وهي أن لا يخوض القادة على خدعة الحماسة الجماعية لكنه أن يعرف صحة العزيمة والغرض منها. وهي حين طلب بني إسرائيل إلى قادتهم كي يقودهم إلى المعركة مع أعداء دينهم مع أنهم ينكرون قولهم.[٢٣١] وكذلك حين نبأ هدهد بالملكة الذين يسجدون للشمس فلا يتسرع سليمان في تصديقه أو تكذيبه إنما هو في تجربته للتأكيد من صحته، فهذا هو شأن الملك الحازم.[٢٣٢] ((لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)) الأنبياء:٢٧.

ومن عجيب أنه من مالك الذي حفظ نفسه من فتنة المال حتى يرد إذا قدم عليه القوم بالمال لتحويل دعوتهم إلى الإسلام.[٢٣٣]

٣. خلافة محمد صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله أول الخليفة الذي أقام الدولة على أساس العقيدة في المدينة وبنى الأحكم على منهج الله في الخلافة وهو في الوقت الذي كان اليهود في المدينة يكلفون كل سهامهم على الإسلام والمسلم.[٢٣٤]

---

[٢٢٩] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٢٧٠
[٢٣٠] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٢٦٢
[٢٣١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٢٦٢
[٢٣٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٥، ص.٢٦٣٩
[٢٣٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٥، ص.٢٦٤٠
[٢٣٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٧٥١

وذلك بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية بين رسول الله ووفود المدينة.[٢٣٥] فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيمات والتوجيهات والتعقيبات للجماعة الإسلامية في المدينة بطريقة القرآن الخاصة حتى قامت بتصورها الصحيح،[٢٣٦] باعتبار رسول الله حاكما وقائد لتلك الدولة.[٢٣٧] وفي أول أمره قام رسول الله بالتعقيب لليهود على نقض عهدهم –العهد بالأمان بين المسلم وبينهم في المدينة– مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد كتب بعض أحكامه وتعقيبه في وثيقة المدينة المنورة.[٢٣٨]

((هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ)) الحشر :٢

بعد فرصة من تعقيب اليهود في المدينة استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامة الأوضاع الطبيعية في المجتمع الإسلامي كي يعطي الأغنياء للفقراء حتى يكون للفقراء مال خاص ويلوح بينهم المودة.[٢٣٩]

ومن خلافة رسول الله أخذت الباحثة النقط المهمة، والأول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الخليفة الذي أقام على الخلافة الإسلامية على منهج الله أي المنهج الرباني. والثاني منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم المسلم –القديم والحديث– على إعطاء

---

[٢٣٥] أحمد قائد محمد الشعيبي، **وثيقة المدينة**، ص.٥٥
[٢٣٦] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٥، ج.٦، ص.٣٥١٨
[٢٣٧] أحمد قائد محمد الشعيبي، **وثيقة المدينة**، ص.٥٥
[٢٣٨] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٦، ص.٣٥١٩
[٢٣٩] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٦، ص.٣٥١٩

التسامح لغير المسلم بإقامة في بلاد المسلم مع مراعاة عاداتهم ودينهم بوسيلة المعاهدة بالأمان بينهم وبين المسلمين طول إقامتهم في بلاد المسلم. الثالث، وجوب التعقيب والطرد إلى غير المسلم الذي ينقض ويبطل على معاهدتهم بالأمان.

د. السر في خلق الناس خليفة

خلق الله الناس ليكون خليفة في الأرض، وكان استخلافهم في الأرض ليس لتمتعهم وإفسادهم دائم[٢٤٠]. ولكن الله تعالى يجعل الناس مستخلفا في الأرض حتى رفع درجاتهم فوق بعض في العقل والجسم والرزق ليبتليهم الناس، هل يشكرون أم يكفرون حتى لا يضعون شريعة غير شريعة الله ولا يأمرون غير ما أمر الله لهم.[٢٤١] والناس باستخلافهم ممتحنون فيما استخلفوا فيه وفي أيام يقضيه فيه ومبتلى بهذا الملك وبكل متاع يتاح إليه، يعطيه من الاستغراق في متاع الحياة الدنيا. فالناس بخلافته مسؤول عن متاعها وممتحن فيه.[٢٤٢]

((وَهُوَ الَّذِيْ جعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيْ مَا ءَاتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيْعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُوْرٌ رَحِيْمٌ)) الأنعام :١٦٥.

((ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِيْ الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَ)) يونس:١٤.

---

[٢٤٠] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٣، ص.١٧٧٠

[٢٤١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٣، ص.١٢٤١

[٢٤٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٣، ص.١٧٧٠

الفصل الثاني: تفسيره عن التحكيم في الخلافة

أ. الله هو المرجع الأول في التحكيم

إن الإسلام يقدم للبشرية نموذجا من النظام المتكامل، ويجد في الإسلام سندا قويا وسندا متصلا بينه وبين نظام آخر من النظم العالمية القديمة أو الحديثة حتى قدم للإنسانية علاجا كاملا لمشكلاتها جميعا.ومن نظرية سيد قطب أن أساس القاعدة في النظام الإجتماعي وهي أن الحاكمية لله وحده[٢٤٣] ((اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)) البقرة:٢٥٥.

والحاكمية في الأرض كلها لله وحده.[٢٤٤] وهذه من القاعدة تقوم عليها التصور الإسلامي حتى يكون استمداد القيم كلها لله.[٢٤٥] وأكثر من قضية التي عالجت عن نظام الأحكام والحياة والشريعة والتقاضي تجدها في سورة آل عمران والنساء والمائدة.[٢٤٦]

فالعقل الإنساني لا يستطيع أن يصنع أحكاما وتشريعات لتدبير على الأرض والمجتمع بنفسه، لأنها ليس قدرته، وإنما هو الذي يتلقى منهج الله وويدركه. فكل ما دل النص فهو صحيح.[٢٤٧] والناس لا يرتفع بأنفسهم إلا

---

[٢٤٣] سيد قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، (بيروت: دار الشوق، ١٩٩٥)، ص.٧٥-٧٦

[٢٤٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن، ص.٣١٩**

[٢٤٥] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٢٨٦

[٢٤٦] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٨٨-٨٨٧

[٢٤٧] سيد قطب، **مقومات التصوير الإسلامي**، ط.٥، (القاهرة: دار الشوق، ١٩٦٨)، ص.٤٥

إذا تدبر في آيات الله وظل في منهج الله.[٢٤٨] وشرط في استخلاف الناس في الأرض فهو أن يقوم في الخلافة وفق منهج الله وحسب شريعته.[٢٤٩]

((إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)) النساء:١٠٥.

ومن لوازم الخلافة الإسلامية أن يستمد من التشريع الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن والحديث. فالقرآن والسنة من الشرط الأول في الخلافة ومصدرا السلطة الإسلامية، وإذا خلف، ففقد حقه بالخلافة. وهذا تمثل النظرية الدستورية الإسلامية. والخليفة نائب عن الأمة، وكل ما تشرعه الأمة فهة ذو سلطان. فلا تجوز للخليفة أن تخالف عما آتاها الرسول في أي تشريع.[٢٥٠]((مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) الحشر:٧.

كذالك قال حسن البنا بأن المرجع في كل التحكيم هو الله ورسوله.[٢٥١] فمعناه أن المرجع في أي تشريع هو أن يتبع ما جاء به الرسول، وإذا لا توجد النص فيما جاء به الرسول فعلى كل الخليفة أن لا يخالف أصلا من أصوله في النظام والتشريع. لأن القانون الذي يحكم به البشر و ناموس الكون هو من

---

[٢٤٨] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٧٥١

[٢٤٩] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٣١٩

[٢٥٠] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٦، ص.٣٥٢٥

[٢٥١] الإمام يويف القرضاوي، **التربية السياسة عند الإمام حسن البنا**، (القاهرة:مكتبة وهبة، ٢٠٠٧)، ص.٢٩

الله.[٢٥٢] ((يَا أَيُّهَا الِذَّينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّه وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الَأْمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) النساء:٥٩.

وموافق بنظريته، فقال أبو حنيفة أن أول مسألة في نظرية عن الدولة فهي مسألة الحاكمية. ومن نظرية أبو حنيفة أن الحاكم الأصلي فهو الله والرسول الله بصفة نائبه وممثله. وأن شريعة الله ورسوله هي القانون الأعلى الذي لا يمكن اختياره سوى الطاعة والاتباع.[٢٥٣] وأن حكم الله ورسوله لا يحيد عن الحق ولا ينحرف مع الهوى ولا يتأثر بالمودة والشنآن ولا تظلم ولا تبخس الحقوق، وكل حكم غير حكمه هو مظنة الخيف.[٢٥٤]

((وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ)) النور:٤٨. فصاحب الحق في الخلافة هو الذي يقيم على شريعة الله في منهج تحكيمه وكذالك الذي يقوم على الحق في خلافته والعدل في الحكم. فقد عرف سيد أن شريعة الله طرف من ناموس في خلق ناموسه وفي خلق الكون والقرآن ببيانه الحق قام لهذا الكون. العدل الذي يطالب به الخلفاء في الأرض إنما هو طرف في الحق الكلي. وإن انحرف واحد من هذا الطرف فقد انحرق عن الناموس الكوني.[٢٥٥]

قال سيد في تفسيره بأن أحداً لا يكون عادلا إذا يعرض عن التحاكم إلى رسول الله وأبى أن يجيئ إليه في كل أمور الذي حكمه.[٢٥٦] أخذ سيد

---

[٢٥٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٦، ص.٣٥٢٥
[٢٥٣] أبو الأعلى المودودي، **الخلافة والملك**، ص.١٦٥
[٢٥٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢٥٢٦
[٢٥٥] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٦، ص.٣٠١٩
[٢٥٦] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢٥٢٦

مثالا من حكومة عمر بن الخطاب الذي رأى حقيقة تركيب النفس البشرية وطبيعتها في خلافته، وهي على حكومة الإسلام. فالحكم في الإسلام لا يضرب القوم الحكام ولا يذلهم، لكن الإسلام يريد أن يكون القوم أعزاء بحكم الله وشريعته. كما أطلق الإسلام العبودية للبشر عند المصريين في عهود الطاغوت الروماني بالحرية والعبادة لرب البشر.[٢٥٧] فلازم على كل الخليفة أن يلحظ حماية نفسه وحماية مصالحه في التشريع والتحكيم.[٢٥٨]

وقد وفق بقول سيد هذا بأبي أعلى المودودي حيث قال في الخلافة بأن حقيقة الحكومة فهي أن يفعل بالعمل تحت القانون الإلهي الذي يستمد من كتاب الله والرسول[٢٥٩] بمبادئها التسعة وذلك اتباع القانون الإلهي، العدل بين الناس، المساواة بين المسلمين، مسؤولية الحكومة،الشورى، الطاعة في المعروف، لا يطلبون على السلطة، هدف وجود الدولة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٢٦٠]

((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)) النساء:٦٤ ((مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا)) النساء:٨٠

---

[٢٥٧] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٣، ص.١٣٦٤

[٢٥٨] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢٥٢٦-٢٥٢٧

[٢٥٩] أبو الأعلى المودودي، **الخلافة والملك**، ص.٣٧

[٢٦٠] أبو الأعلى المودودي، **الخلافة والملك**، ص.٣٧-٤٦

ب. آثار الخلافة الإسلامية

تكونت الخلافة الإسلامية بمنهجها الإلهي وبتشريعاتها الإسلامية التي حملها رسول الله للبشر منذ نشأتها بالمدينة تحت قيادةته صلى الله عليه وسلم بمختلف الديانات إما الجماعة المسلمة وإما مشركي المدينة. وفيها آثار طيبة كثيرة للرعية، وستذكر الباحثة بعض من آثارها كما يلي:

١. تنظيم حياة الأمة بوحدة الإسلام

إن الخلافة الإسلامية قامت على دين الوحدة بين العبادة والمعاملة، والعقيدة والشريعة، والروحيات والماديات، والقيم الاقتصادية والمعنوية والدنيا والآخرة. بهذه الوحدة فتنظم على حياة الأفراد والمجتمع. ليس كمثل رئاسة المسيحية التي تقوم على خلال أشواقه الروحية وحدها، وليس كالرئاسة الشيوعية[٢٦١] التي تقوم على حاجاته المادية وحدها.[٢٦٢]

فقد عرف سيد في أكثير بيانه على أن المنهج الإسلامي ينظم حياة الجماعة المسلمة وحقائقها،[٢٦٣] من محيط الأسرة إلى محيط الجماعة وتطهيرها من الفاحشة الجاهلية[٢٦٤] وتثبيت الملامح الإسلامية.[٢٦٥]

---

[٢٦١] الشيوعية هي المجتمع الذي رجع الفاعلية إلى ((المادة)) و((الطبيعة)) بإقامة نظام العبودية فيه للحزب ولا لله وحده، وقد اعتبرت ((المطالب الأساسية للإنسان)) كمطالب الحيوان دون حاجات روحه التي يميون عن الحيوان، انظر إلى **المعالم في الطارق** لسيد قطب، (بيروت:دار الشوق)، ص.٨٩

[٢٦٢] سيد قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص.٢٦

[٢٦٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٤٩٩

[٢٦٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٥٩٨

[٢٦٥] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص.٦٥٧

٢. قيام النظام الكامل لعلاج مشكلات الأمة

بالخلافة الإسلامية عاش المسلمون تحت نظام الإسلام الكامل والشامل[٢٦٦] تتضمن كل مااحتاجت إليه الأمة لمصلحتهم،[٢٦٧] ولا يحمله الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا النظام يقدم حلولا مستقلة لمشكلات الإنسانية، خلاف على أنظمة الذي صنعه الإنسان كالديمقراطية التي تحمل على طابع البشر وخصائص البشر من النقص والكمل، والخطأ والصواب، والضعيف والقوة والهوى والحق.[٢٦٨]

وهذا النظام يكون علاجا لتطهير الأمة من عناصر الضعف البشري ورواسب الجاهلية على القاعدة الطيبية النظيفة الصلبة المتينة التي لا تدنسها شوائب الهوى والمصلحة العصبية ولا تميل إلى الشهوات،[٢٦٩] من الناحية العملية والعقلية والدينية وغيرها.[٢٧٠]

((إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)) النساء:١٠٥.

وبجانب ذلك لقد وضع في الخلافة الإسلامية النظم والقوانين إزالة للعادات الجاهلية من حق التحريم والتحليل مع الرخصة والتيسير ما لا يهتم هذا الشيء في الخلافات والقيادات غير الإسلام.[٢٧١] ((وَمَا

---

[٢٦٦] سيد قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص.٢٠

[267] Jauhar Ridloni Marzuq, *Syari'atu Al-Qur'an 'ilaju-l-MisykilactAl-Insan: Qiro'atu Fi Fikri Muhammad 'Abdullah Darozi Fi 'Ijaz At-Tasyri'I il Qur''an*, Tsaqofah Jurnal Peradaban Islam, Vol.13, No.2, 2017

[٢٦٨] سيد قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص.٧٧

[٢٦٩] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص.٧٥٣

[٢٧٠] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٣٢٥

[٢٧١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٣، ص.١١٨٠

لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ)) الأنعام:١١٩.

بين سيد في تفسيره عن الكتابة في المجلات الأمريقية التي تبحث فيها عن ثلاثة آثار قانون خلافة أمريقى، وهي الأدب الفاحش خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، والأفلام السينمائية التي تذكر عن عواطف حبّ الشهوات، وانحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء.[٢٧٢] وهذا يؤدي إلى زوال أخلاق الأمة وفساد أفكارهم وشهواتهم ما لا يريد به في الخلافة الإسلامية.

قال سيد بأن الخلافة لا تقوم في الأرض ولا تنهض بالقيادة البشرية حتى يتضح فريد متفوق على كل ما تعرف البشرية، حتى يثبت هذا المنهج في حياتها الواقعية، حتى يمحض كيانها تمحيصا شديدا، وتنفض عنه كل خبيثة من ضعف البشر ومن رواسب الجاهلية، وحتى يقام فيها ميزان العدل لتحكم بين الناس مجردا من جميع اعتبارات الأرضية والمصالح القربية الظاهرة والملابسات التي يراها الناس شيئا كبيرا لا يقدرون على تجاهله.[٢٧٣]

٣. المساواة

والخلافة الإسلامية تساوي بين المسلمين في جميع الأجزاء العالم، وينكر العصبيات الجنسية القومية والإقليمية، فكل إقليم هو بضعة من جسم العالم الإسلامي ويحكمها وال من قبل المركز الإسلامي بوصفه

[٢٧٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص.٦٣٧.
[٢٧٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص.٧٥٣.

رجلا مسلما صالحا للولاية ولا حاكما مستعمرا. إذا جاء أموال الأقاليم فينفق فيها أولا برد إلى بيت مال المسلمين لينقف على المسلمين كافة عند الحاجة ولا يخصص لأهل المركز،[٢٧٤] لأن الإسلام يأمر على تفاوت الأرزاق بين الناس.[٢٧٥] وهذه المساواة ترفع سائر النفوس في الصف الواحد على معبود واحد.[٢٧٦]

إذا قام كل الخليفة على الخلافة الإسلامية باتباع على أحكامها وأنظمتها ولا تفرق بين دينها ودولتها فتجد منها التراحم وتواد وتعاون بين المسلمين وليس كالشيوعية التي تنازع وصراع بين الطبقات في جيل من أجيال الناس.[٢٧٧] ((إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِيَن إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّه وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) النور: ٥١

ج. حالة الخلافة والأمة التي لا تقوم على حكم الإسلام

((اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)) الأعراف:٣.

عرف سيد في معنى الإسلام فهو التحاكم إلى كتاب الله وطاعته واتباعه. ولم يفعل فليس مسلما. ومن يتخذ الكفار خليفة فهم يرفضون التحاكم إلى كتاب الله.[٢٧٨]

---

[٢٧٤] سيد قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص.٧٧

[٢٧٥] سيد قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص.٢٨

[٢٧٦] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٣، ص.١٥٨

[٢٧٧] سيد قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص.٢٧

[٢٧٨] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٣٧٧

لا تقوم مجتمع المسلم بدون القيام على حكمه وشريعته ولا تقوم الخلافة الإسلامية بدونه، فقال سيد إن شهادة الله رسوله هو منهج الحياة الكامل.[٢٧٩] فلا تسمى المجتمع إسلاما، والدولة دولة إسلامية بلا اتباع على هذا المنهج. أما المجتمع المسلم هو الذي تتمثل العبودية لله في العبادة ونظام الجماعي والتشريعات والنواميس. فهذا المجتمع لا تنشأ إلا بجماعة من الناس الذي يقيمون في الدولة.[٢٨٠] فلا تستطيع الأمة على القيام بهذا المنهج والاستخدام على شريعة الله إذ ليس معها القائد والإمام المسلم.

فإذا وجد خليفة خاصة ومجتمع المسلم عامة الذي يريد أن يتحاكموا إلى غير شريعة الله، فلا يقبل زعمهم بأنهم من المجتمع المسلم.[٢٨١] ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)) النساء:٦٠.

د. الخلافة الإسلامية في مواجهة العلمانية

إن الإسلام ليس مجرد عقيدة لكنها منهج يتمثل في تنظيمم حركي يقصد لتحريري كل الناس ولتنظيم حياة الجماعة على المنهج الإسلامي. فلابد أن يكون في الخلافة الإسلامية إطاعة الله تعالى. ولكن المستشرقين الماكرين الحاضرين يهجمون حقيقة الإسلام بالتصور الغربي ما ليس في الواقع، يفصلون الدين عن كل حركة ويقولون بأن الدين مجرد عقيدة لا شأن لها

---

[٢٧٩] سيد قطب، **معالم في الطارق**، ص.٨٣

[٢٨٠] سيد قطب، **معالم في الطارق**، ص.٨٦

[٢٨١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص.٦٨٧

بالأنظمة الواقعية للحياة.[٢٨٢]

واحدى من حركتهم فهي الحركة العلمانية التي تريد على نفي الدين عن مجالات الحياة في الدولة.[٢٨٣] لتكون مقاومة على الإسلام وإبعاد الأمة عن القرآن والسنة. حتى قام كثير من الأنظمة البشرية على أساس الحاكمية للإنسان فهو الذي يشرع لنفسه خلاف عن قاعدة الحاكمية في خلافة الإسلام.[٢٨٤] ومن أثر العلمانية هو تضعف المسلمين عن حماية أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وأخلاقهم. وقال سيد على أن هذه الحركة ردوهم إلى حياة كحياة الحيوان. وأصبح المسلمون لأسماء وحدها مسلمين.[٢٨٥]

((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) الحجر: ٩. فالخلافة الإسلامية أسس على منهج الله للحياة البشرية بالحاكمية لله وحده، ينظم الخليفة الحياة الواقعية بكل تفصيلات اليومية بمنهجه تعالى،[٢٨٦] بمصدره القرآن المحفوظ دون التحريف. فمنهج الله لا يتغير ولا يتجدد[٢٨٧] قد قام رسول الله بهذا المنهج وبهذا المصدر حتى تكون للإسلام دولة في المدينة وسلطة تقوم على شريعة الله، ولا يفصل الدين عن دولته.[٢٨٨]

وإن لم تكن في الدولة إسلاما فلا يوجب على القيام بمنهج الله لمكافحة الجريمة فيها، فلا بأس العلمانية إذا كان أهلها ليس من المسلم.[٢٨٩] والحق لأن

---

[٢٨٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٣، ص.١٤٤٣

[٢٨٣] حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، **العلمانية وموقف الإسلام منها**، ص.٣٣٥

[٢٨٤] سيد قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص.٧٦

[٢٨٥] سيد قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص.٢١٢٨

[٢٨٦] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٣، ص.١٤٤٣

[٢٨٧] سيد قطب، **الإسلام ومشكلات الحضارة**، ط.١٣، (القاهرة: دار الشوق، ٢٠٠٥)، ص.٥

[٢٨٨] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٦٠٠

[٢٨٩] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٦٠٠

الدين لا يقوم بدون الدولة وبدون الخليفة. والدين هو المنهج أو النظام الذي تقوم عليه حياة الناس العملية ليس مجر المشاعر بلا سلكة والتشريع ودستور معلوم.[٢٩٠] لأن الخليفة والسلطان ذو قوة لتحريم المحرومات في الدولة.[٢٩١] قال سيد قطب في مقدمة تفسير سورة المايدة: ((نزل هذا القرآن على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لينشئ به أمة وليقيم به دولة ولينظم به مجتمعا..))[٢٩٢]

الفصل الثالث: المبادئ الأساسية في الخلافة الإسلامية

أ. الخلافة الحقيقية

رأى الباحثة بأن الخلافة الحقيقية التي أراده الإسلام لا تقوم إلا ببعض شروط يقوم عليها الخليفة. التي اعتمدت هذه الشروط من خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة مع أنه من أول الخليفة الإسلامية في فجر التاريخ. فعيّنت الباحثة أهم شروط بمنظر سيد قطب في تفسيره ظلال القرآن، وهي كما يالي:

١. أسس على منهج الإيمان والإسلام

لا يكون الخلافة حقا إلا إذا كان الخليفة مؤمنا بإيمانه ومسلما بإسلامه. فالخليفة يكون قائدا، ويقودهم إلى الله، ويقدمهم إلى الخير ويكونون له تبعا.[٢٩٣] فإذا أخذ القوم الخليفة المخطئة فسيقودهم إلى الظلم والفسد ويبعدهم عن الله. أما اختيار الخليفة عند سيد فهو الاختيار إلى من كان له الإيمان الصادق في نفسه، لأن الإيمان منهج

---

[٢٩٠] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٦٠١
[٢٩١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص.٦٦٥
[٢٩٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص.٨٢٥
[٢٩٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.١١٢

حياة كامل. ووعد الله المؤمن الصادق بالخلافة.

وأكّد سيد هذا القول في سورة النور: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) النور:٥٥.

قال سيد بأن الإيمان شرط مهم في الخلافة. فالإيمان منهج الحياة الكامل، وأسس كاملة[٢٩٤] يتضمن كل ما أمر الله به، ويدخل فيما أمر الله به توفير الأسباب، وإعداد العدة، والأخذ بالوسائل، والمصدر لحمل الأمانة الكبرى في الأرض وهي أمانة الاستخلاف. ولا يمكن على الناس أن يقوم بهذه الأمانة الكبيرة بدون الإيمان الصادق. فلهذا الاستخلاف قد وعده الله إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليحقق المنهج الذي أراد الله وليقرروا العدل الذي أراد الله. أما الكافرون خرجوا عن هذا الشرط، فلا يصح الخلافة لهم.[٢٩٥]

وقد عقب هذا الوعد في سورة النور الآية ٥٥ واستمر في الآية ٥٦ على أمر للصلاة والزكاة وإطاعة إلى الله ورسوله. ((وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) النور:٥٦. كذلك لدي إسحاق ويعقوب عليهما السلام حين أمر الله لهما لأن تكون أئمة، فأمر الله على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.[٢٩٦]

---

[٢٩٤] سيد قطب، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، ص.٧٦

[٢٩٥] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢٥٢٩

[٢٩٦] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢٣٨٨

((وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)) الأنبياء:٧٣. وذلك لأن تقويم القلب بالصلاة وتطهير النفس والجماعة بإيتاء الزكاة، تعمير الأرض من الفساد والانحدار والقلق والضلال بإطاعة الرسول والرضى بحكمه وتنفيذ شريعة الله وتحقيق عهد الله. فإذا قام كل خليفة بهذا العهد فما هم بمعجزين في الأرض ولا يعجز بكل عدوهم وغير مغلوبة من الناحية المادية ولهذا الخليفة القلوب المؤمنة التي تجاهد في خلافتهم لأجل دولتهم وأمتهم.[٢٩٧] فلا يكون مستعدا لمن يعتقد بالوثنية والشرك ليحمل على هذه الأمانة الكبيرة وهي الخلافة في الأرض بدين الله.[٢٩٨]

قد قال الله إلى إبراهيم –عليه السلام– بأن الظالمين لا يستحق بالإمامة.[٢٩٩]

((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)) البقرة:١٢٤. فالإيمان شرط مهم في اختيار الخليفة. فإذا كانت الأمة تولّى على هذا الشرط المهم، فطرد دينها في بلادها واستبد بها الخوف واخطفها الأعداء.

بالإيمان تظهر الشعور بمراقبة الله والخشية إليه تعالى وتقواه. فهذا الشعور يكون الحارس الذي يكفل الاستقامة على النهج، وإغفال

---

[٢٩٧] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢٥٣٠
[٢٩٨] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٣، ص.١٣٦٧
[٢٩٩] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢٠٣٤

المغريات التي تهدف بهم على جانبيه فلا ينحرفون في التحكيم.[٣٠٠]

((وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)) النور:٥٢. ووفق المودودي هذا القول وقال من يخشى الله وهو عادل ومؤمن فلا يتصرف في مسؤولية حكومته، لأن الحكومة أمانات من الله.[٣٠١]

أما المسلمين اليوم ليس كلهم خالص بإيمانه ودعوتهم بإسلامهم كاذبة لمن كان فسقوا وظلموا وبعدوا عن طريق الله وشريعته تعالى ولا تقوم إسلامه على أسس الإيمان والعمل.[٣٠٢] ومن لا يرضى أن تقضي بينهم شريعة الله وقانونه فهو من الكافر والمنافق لأن الرضى بشريعة الله دليل الإيمان بالحق ما لا يستحق الكافرون والمنافقون به،[٣٠٣] فقطع وبطل على حقهم بالخلافة.

((إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) النور:٥١. وعند سيد على أن الخليفة اليوم الذي تزعم لنفسه أنه مسلم فهو كافر، لمن كان يتبع على النظام والحكم والشريعة لغير الله —إما لم يعتقد بالألوهية أحد ما إلا الله– فتدين هو بالحاكمية غير الله تتلقى من نظامها و شرائعها وقيمها وموازينها وعاداتها وتعاليمها وكل مقومات حياتها.[٣٠٤]

---

[٣٠٠] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢٥٢٧
[٣٠١] أبو الأعلى المودودي، **الخلافة والملك**، ص.٤١
[٣٠٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.١١٣
[٣٠٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٤، ص.٢٥٢٦
[٣٠٤] سيد قطب، **معالم في الطارق**، ٩١-٩٢

٢. العدل والأمانة

إن العدل من أهم قضية الذي كتب في وثيقة المدينة وقد قام رسول الله بهذه الصفة في رعاية الدولة الإسلامية، وغيابه سبب للفتن والقلق.[٣٠٥] ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)) النساء.٥٨. وعرف سيد بأن العدل هو أساس استحقاق القيادة والإمامة والخلافة في أي صورة من صورها. ومن ظلم فقد جرد نفسه من حق الإمامة،[٣٠٦] ومن عدل وقام بالأمانة فقد اتبع على منهج الله وتعليمه.[٣٠٧]

((وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ)) البقرة:١٢٣. رأت الباحثة بوجود عصر الصراع الشديد في عصر أبي حنيفة –أخذ المودودي برأيه–، فهو في العالم الإسلامي عامة والعراق خاصة فهذا الزمان تساوي بظهور الصراع في عصر الحديث. فأخذ الباحثة بعض من رأيه في مسألة الخلافة في هذا البحث.

فالناس في زمانه منقسم إلى قسمين، قسم الذي لا يجيز على خلافة الظالم والفاسق، وقسم آخر الذي يجيز على استيلاء الظالم والفاسق ليكون زمام البلاد.

---

[٣٠٥] أحمد قائد محمد الشعيبي، **وثيقة المدينة**، ص.٥٦–٥٧
[٣٠٦] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.١١٢
[٣٠٧] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص.٦٨٨

قال أبو حنيفة في هذه المسألة بأن العدالة شرط لا بد منه للخلافة فلا يكون الظالم أو الفاسق خليفة شرعية أو قاضيا أو حاكما أو مفتيا، وإن صار كذالك فإمامته باطلة ولا تجب على الناس طاعته.[٣٠٨]

((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)) النساء :٥٨. فهذا الرأي يخالف على مذهب الخوارج والمعتزلة في قولهم على الإمام بالحق والإمام بالفعل حيث قال إذا لم يكن هناك وجود إمام بالحق فيمضي نظام المسلمين الجماعية على نحو شرعي من هو إمام بالفعل ولو كانت إمامته غير شرعي.[٣٠٩] وقد خلط كذالك المرجئة بين الإمام بالحق والإمام بالفعل ويقولون بجواز إمامة الفاسق.[٣١٠]

عند الباحثة أن هذه الآراء قد خلط بعض أفكار أهل السنة والعلماء وأمة المسلمين عامة حتى يقولون ويعتقدون بحسن اختيارهم على الإمام والخليفة الفاسق والظالم إن لم يكن في الدولة والبلاد وجود الإمام العادل والصالح.

وإذا كان المسلمون يختارون إمامهم وخليفتهم منهم فالنتيجة من هذا اختيار فهو أن يقعد المسلمون مطمئنين راضين بحكومة الحكام المستبدين الظالمين ذوي السلوك المشين والخلق الذميم. وأعلن أبو حنيفة على أن الإمامة منهم فهي باطلة بطلانا قطعيا.[٣١١]((فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ

[٣٠٨] أبو الأعلى المودودي، **الخلافة والملك**، ص.١٦٨-١٦٩
[٣٠٩] أبو الأعلى المودودي، **الخلافة والملك**، ص.١٧٠
[٣١٠] أبو الأعلى المودودي، **الخلافة والملك**، ص.١٧٠
[٣١١] أبو الأعلى المودودي، **الخلافة والملك**، ص.١٧٠

وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)) الشورى:١٥.

٣. الاجماع وشورى أهل الرأي

يرى أبو حنيفة أن الخلافة الصحيحة هي ما تقوم باجماع وشورى أهل الرأي وليس باستيلاء السلطة بالقوة ثم أخذ البيعة بعد ذلك غصبا، فذلك ليس من الصورة الشرعية الصحيحة لانعقاد الخلافة.[٣١٢] ووفق سيد بهذا الرأي حيث قال عرف سيد أن الخلافة الإسلامية تنظم حياة الجماعة المسلمة بمنهج الله وهذا المنهج يقوم على الشورى في الحياة كله ليعالج على معركة المجتمع،[٣١٣] فالأمر بالخلافة ليست وراثة أصلاب وأنساب، لأن القرابى ليس دعوى بالدم والجنس والقوم إنما هي بادين وعقيدة.[٣١٤]

((وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)) الشورى:٣٨. ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)) ال عمران ١٥٩.

وأخذ أبو حنيفة قولا من رسول الله صلى الله عليه السلام على أن أوضح المنصب في الخلافة فهي قريش ما دام في أهلها صفات

---

[٣١٢] أبو الأعلى المودودي، **الخلافة والملك**، ص.١٦٦-١٦٧
[٣١٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.٤٥٨
[٣١٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.١، ص.١١٢

مخصوصة فإذا عدم هذه الصفات من أهلها فيجوز أن تكون الخلافة لغير قريش.[٣١٥]

ب. أثر خلافة الكافر

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) المائدة :٥١.

والكافر بمنظر سيد كالمجتمع الجاهلي الذي يسن حربا للمسلمين ولا قيادة فيها كما حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية منذ نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه والسلام.[٣١٦] وقال بأن المجتمع اليوم كالمجتمع الجاهلي (المجامع الذي لا يخلص إعتقاده شرائع القانونية لله وحده)[٣١٧]، تدخل فيه المجتمعات الشيوعية والمجتمعات الوثنية والمجتمع الذي يقيم النظم والشرائع بالمرجع لغير الله وشريعته كما استمدت هيئات العلمانية التي تملك سلطة التشريع دون الرجوع إلى الله بالحاكمية العليا لديها باسم (الشعب) أو (الحزب). وقد لعن الله لهم بالشرك لأنهم جعلوا النظم والحق لغير الله تعالى.[٣١٨] فإذا اختار الناس إلى من كان في خلافته من إعراض وكفر وضلال فلا ينتفع خلافته إلا أن تكون عاقبته الخسارة في نهاية رئاستها.[٣١٩] ((وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ)) فاطر:٣٩.

---

[٣١٥] أبو الأعلى المودودي، **الخلافة والملك**، ص.١٧١
[٣١٦] سيد قطب، **معالم في الطارق**، ص.٨٨
[٣١٧] سيد قطب، **معالم في الطارق**، ص.٨٨-٨٩
[٣١٨] سيد قطب، **معالم في الطارق**، ص.٨٩-٩١
[٣١٩] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٥، ص.٢٩٤٧

فهذا الذي وقع عند الدولة العثمانية في أواخر سلاطينه بعد أن أصاب الشعوب الإسلامية داخل الدولة الذي يسبب على فقد الإحساس بالله والحب على حياة المادة والجاهلية ويؤدي إلى أسباب سقوط الدولة العثمانية.[٣٢٠]

فهذا الذي يفرق بين الخلافة الإسلامية وغيرها. فلا يتقدم القوم والدولة إذا كان أهلها يأخذون ويختارون الخليفة المخطئة لهم. ولا يكون دولتهم وأمتهم آمنة مطمئنة وصالحة بل سيضرب القوم برئاسة الظالم والكافر وسيذل القوم بذل رؤساءهم، كما وقع عند بني إسرائيل الذي عاشوا حياة الذل والحقد والقساوة تحت ظلال فرعون وكذالك المصريون في عهود الطاغوت الروماني قبل مجيئ الإسلام لنفوسهم،[٣٢١] وكذالك المسلمون تحت موالاة اليهود والنصارى في العام الرابع.[٣٢٢] لم يكفي بهذه المعركة الصغيرة لكن حقيقة معركتهم فهي معركة العقيدة، فهم يكرهون كل من يستقيم على دين الله حتى يحاربون أمة المسلمين نفسهم أو العقيدة الإسلامية عنهم.[٣٢٣]

((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ)) المائدة:٥٩.

حذر سيد تحذيرا شديدا على خلافة غير المؤمنين والتقرير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه إذا هو تحت خلافة الكافر.[٣٢٤] فلهذه الآثار قد

---

[٣٢٠] علي محمد محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، (مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠١)، ص.٤٩٤

[٣٢١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ص.١٣٦٤-١٤٦٥

[٣٢٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص.٩٠٧

[٣٢٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص.٩٠٨

[٣٢٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص.٣٨٥

حذر الله على المسلمين عن أخذ الخلفاء والأولياء من غير المسلم، ومن أخذ منهم فقد ارتد عن دين الله، كأنه منهم[٣٢٥].

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) المائدة: ٥١.

((إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) المائدة: ٤٤. ((وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) المائدة: ٤٥. ((وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) المائدة: ٤٧.

قال سيد بأن الأمة تحت ظلال الكافر الذي لا يأخذ على عهد الله ولا يتبع على سنته والناموس المرسوم وشكر على نعمه ومحافظة على أسبابها فسيقع إليهم الفساد بالعذاب والغضب من الله كما قصص القرآن عن قصة البشرية بسوء المصير عند قوم نوح وكذلك كمن يستخلف بعدهم من القوم والسلطان، قد عذب الله عذابا أليما وغضب الله إليهم غضبانا لعدم اتباعم على عهد الله بعد أن أعطى الله إليهم القوة والبسطة والضخامة بحكم حتى

[٣٢٥] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٢، ص.٩٠٧-٩٠٨

أخذت القوم العزة بالإثم والجدال.[٣٢٦] فكل الخليفة لا يتبع على منهج الله في خلافته، فخلافته ضعيف.[٣٢٧]

((فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ)) يونس:٨٣.

[٣٢٦] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج.٣، ص.١٣١١
[٣٢٧] سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص.٤٤